أوراق إستراتيجية

لماذا تتمتع سوريا بالأهمية؟

باري روبن ، تحليل الشرق الأوسط للشؤون الخارجية ، 7 كانون الأول ، 2006

إن نشوء التحالف (حزب الله، إيران، سوريا، حماس) قد غير في مسار الشرق الأوسط من جوانب عدة. فقد قام هذا التحالف بصياغة أيديولوجية جديدة تجمع ما بين القومية العربية والإسلام، ما يمكن تسميته بـ "القومية الإسلامية". وقد سعى للسيطرة على لبنان والعراق كما سعى إلى الزيادة من حدة المواجهة ضد أمريكا وإسرائيل. ما هو ملفت بشكلٍ خاص هو كيف أن استراتيجيه، تكتيكاته، ورؤيته تتوافق بنحوٍ كامل مع تلك التي سيطرت ـ وأخفقت ـ في الحقبة الممتدة ما بين الخمسينات والثمانينات. إن سوريا قد أصبحت أهم دولة عربية نظراً لتورطها في هذه المسائل.

"يسعدني أن أجتمع بكم في الشرق الأوسط الجديد" هو ما قاله الرئيس السوري بشار الأسد في خطابه أمام إتحاد الصحافيين السوريين في الخامس عشر من آب عام **2006**. ولكن الشرق الأوسط الجديد الذي عناه الرئيس بشار ليس هو الذي يتطلع إليه الكثيرون بعد هزيمة صدام في الكويت عام **1991**، كما أنه ليس جديداً على الإطلاق. وإنما هو عودة، وبأدق التفاصيل، إلى شرق أوسط الخمسينات إلى الثمانينات. فإن العالم العربي، إلى جانب إيران الآن، يعود إلى تبني الحقبة التي كانت قد شكلت كارثة حقيقية له، وإلى تمجيد الأفكار والإستراتيجيات التي أدت مراراً وتكراراً إلى نكبات. لا أحد من الدول العربية يفوق سوريا في مسؤوليته عن هذا التحول الهام والمأساوي. فإنها كانت الصانع والمستفيد الأول من هذا التغير. مصر، السعودية، الأردن، وباقي الدول العربية أرادت الهدوء؛ العراق كان يحتاج للسلام لإعادة بناء نفسه. حتى الدكتاتور الليبي معمر القذافي الذي تم الضغط عليه بواسطة العقوبات القانونية والذي شعر بالخوف مما آل إليه مصير نظيره العراقي صدام حسين، كان يتصرّف على أفضل نحو. أما سوريا فهي الوحيدة التي بقيت سبباً لعدم الاستقرار وللراديكالية. إذاً، فإن دولة صغيرة وفقيرة شكلت قطب رحى التغير في الشرق الأوسط الذي بدوره أدى إلى هز العالم بأسره. هل أن الرئيس بشار الأسد إنسان مجنون أم عبقري؟ لا يمكن الجزم بهذا الأمر مباشرةً. ولكن ما يمكن قوله هو أن سياسته: مفيدة له، مضيئة وكارثية لسوريا في آن معاً، ومحض كارثية للكثير من الآخرين.

من أجل فهم الخاصية التي تتمتع بها سوريا، فمن المهم الالتفات إلى النظرة الثاقبة للعالم اللبناني–الأمريكي فؤاد عجمي حيث يقول: "إن قوة سوريا تكمن في قدرتها على إثارة الشغب، بخلاف مصر التي تعتمد على الهيمنة والسعودية التي تعتمد على ثروتها." إن إثارة الشغب هو في خدمة حفظ النظام وهو السبب والهدف الرئيسي وراء تحرك الحكومة السورية. الديماغوجية، وليس تقديم المنافع المادية، هو ما يشكل مبدأ قوتها.

ما الذي جعل أولئك الذين حكموا سوريا، تحت أنظمة مختلفة، يتبعون هذا النمط على مر أكثر من قرن؟ تحديداً، لأن هذا البلد هو بلدٌ ضعيف من عدة جهات. فإلى جانب افتقارها للهيمنة المصرية والمال السعودي، فإن سوريا تفتقر أيضاً للتماسك الداخلي وذلك يعود إلى التنوع السكاني و إلى سيطرة الأقلية(العلوية) على الحكم.

من هنا ومن أجل أن يستمر هذا النظام فإنه يحتاج إلى شعارات متصاعدة تعمل على إخفاء هذه المشكلة. العروبة، ومؤخراً الإسلام، كانا الحل. بناءً عليه، فإن سوريا ليست محكومة من قبل ديكتاتورية فاسدة وفاقدة للأهلية، وإنما من قبل كل القادة العرب وأبطال كل المسلمين. إطلاق مثل هذه الشعارات، تُستخدم بشكل جداً فعال لأجل تبرير الظلم في الداخل، والعدوان على الخارج. فلا يوجد بلد في العالم أكثر من سوريا يطرح كلمة "الإمبرالية" في وصف الأعداء الخارجيين، كما لا يوجد بلد على وجه الكرة الأرضية يعتمد سياسة الإمبريالية التقليدية مثلها.

بمعنى أدق، إن هذا الأسلوب مُعتمداً من قبل أغلب الحكومات العربية إن لم نقل كلها، ولكن سوريا تقدم التجربة الأوضح لمثل هذا النظام. ونتيجةً لذلك، يوجد مبدأين ينبغي تذكرهما دائماً:

أولاً، كلّما أساءت سوريا التصرف، كلما كان ذلك أفضل لنظامها. القادة السوريون لا يتقبلون الرؤية الغربية بأن البراغماتية، الاعتدال، التسوية، الاقتصاد المفتوح، والسلام هم دائماً الحل الأمثل. عندما تتصرف سوريا براديكالية (إلى حد معين طبعاً) فإن ذلك يعزز من مبدأ قوتها الأساسي ــ إثارة الشغب ــ بدلاً من الإضعاف من موقع تأثيرها. في نظام ديكتاتوري، إن تحقيق السيطرة و الشعبية باعتماد الديماغوجية يكون أنجع.

ثانياً، إن نجاح النظام والدولة يعني الكارثة للشعب، المجتمع، والاقتصاد. فإن النظام يحقق النجاح بإبقاء السوريين على إيمانهم الدائم بأن الحرب ضد أمريكا وإسرائيل، وليس الحرية والازدهار، هو ما ينبغي أن يكون على قائمة الأولويات. إن سيطرة الدولة على الاقتصاد يعني مستوىً معيشياً متدنياً للغالبية، بينما يعني في نفس الوقت الحفاظ على طبقة حاكمة غنية تمتلك الأموال الطائلة لتوزيعها على مناصريها. تهديد وحبس النقاد الأحرار، يعني الاستقرار الداخلي، ولكن من دون حقوق إنسانية.

يمكن تسمية هذا النمط بالنكبات الناجحة بنحوٍ مثير. فإن هذه السياسة تعتبر ناجحة من ناحية أنها تضمن استمرارية النظام وأن الشعب يراها على أنها ناجحة. ولكن إذا أردنا الحديث بشكلٍ موضوعي، فإن هناك إضرار بالمجتمع والاقتصاد، حد للحرية، وهدر للثروات. هذا النمط هو آفة العالم العربي ولكن في نفس الوقت فإنه يشكل القاعدة لحكمه وأيديولوجيته.

إن سورياً إذاً، هي في آن واحد التجربة التي تكشف عن إخفاق عملية التغيير في سياسات الشرق الأوسط والعامل الأساسي في جعل المسائل تسير بشكل جداً خاطئ في العالم العربي.فلو أن سوريا انتقلت من المعسكر الراديكالي إلى المعتدل، فإنه من المؤكد أنها كانت سوف تعدل كفة الميزان، فاتحةً الطريق نحو شرق أوسط أكثر سلاماً وتقدماً.

كما الكثير من سياسات الأنظمة العربية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، فإن إستراتيجية سوريا كانت ذكية وغير ذات فائدة في آنٍ معاً. استطاعت الحفاظ على النظام، مناوراتها الخارجية أثبتت نجاحها في الكثير من الأوقات، وسيطرتها على لبنان جلب لها الكثير من الأموال. ولكن ما هي الفائدة التي حصلت عليها سوريا بالمقارنة مع ما كان سيحققه لها التأكيد على السلام والتطور ؟

كانت فكرة الغرب بأن اليأس من المحنة الإستراتيجية والاقتصادية الصعبة للبلد سوف يجعل حافظ الأسد (وكذلك صدام، عرفات وباقي العرب أو القادة الإيرانيين) يتجهون نحو التسوية والاعتدال. ولكن ما حصل هو أن القادة أنفسهم فكروا بالطريقة المعاكسة تماماً: تعرضهم لضغط التغيير، جعلهم أكثر عناداً وتطلباً.

غالباً وإلى حدٍ ما، فإن هذه الإستراتيجية نجحت عندما كان الغرب يقدم التنازلات في محاولة للتشجيع على الإصلاحات المتوقعة، ضمان التبادل التجاري، شراء السلام، والقضاء على الإرهاب. لا شك بأن هذه التحركات كانت تصب في خدمة المصالح الغربية ولكنها أيضاً

تدل على رغبة في تعريف هذه المصالح على أنها إنسانية وعادلة. فالهدف هو اجتثاث القضايا التي تسبب الصراع، بناء التفاهم والثقة، وإثبات حسن نواياهم.

ولكن مثل هذه التصرفات لم تكن تبدو للأنظمة العربية على أنها نتيجة للكرم أو مد يد الصداقة وإنما ناتجة عن خوف الغرب من قوتهم ورغبة إمبريالية في السيطرة على العرب والمسلمين. وغالباً أيضاً ما كان يُنظر إليها على أنها ضريبة لتكتيكاتهم الأكثر تفوقاً، التي تخدع أو تفوق براعة أعدائهم في اصطناع المناورات. هذا التصور شجع على الاستمرار في العناد على أمل جني المزيد من الثمار. في النهاية، هذه العملية قضت على أية إمكانية للاعتدال، ولكنها لم تقض دائماً على الأوهام الغربية.

فيما يلي مثالاً على مثل هذا النمط من التفكير. في عام **1986**، في وقتٍ كان العرب وسوريا يعانون من ضعف شديد، قال حافظ الأسد للسفير البريطاني، "لو كنت رئيس وزراء إسرائيل مع ما تملكه من تفوق عسكري ودعم من القوة رقم واحد في العالم، لما كنت لأقدم أدنى تنازل."
بعد **20** سنة بالتحديد من تلك الملاحظة التي أبداها والده، قام بشار بإلقاء خطابه في مؤتمر الصحافيين في **15** آب من عام **2006** مؤكداً أن القوة والعنف وحده الذي دفع الطرف الآخر إلى تقديم التنازلات، التفاوض، أو حتى إعطاء أهمية للقضية. في الحديث عن ردة الفعل الدولية مباشرةً بعد حرب إسرائيل–لبنان صرح قائلاً: "إن العالم لا يهتم بمصالحنا، مشاعرنا، وحقوقنا إلا عندما نكون أقوياء. وإلا فإنهم لا يحركون ساكناً."

ملاحظات حافظ وبشار تقول لنا الكثير. في غياب الضغط، فإن نظامهم يصبح أكثر إندفاعاً في السعي لتحقيق أهدافه. وفي حالة الخوف، فإنه يتراجع ليحفظ تماسكه وديمومته. نتيجةً لذلك، فإن الطريقة الوحيدة لجعل سوريا معتدلة في أدائها هو بالضغط المعقول عليها من أجل إقناعها ــ على الأقل مؤقتا ــ بأن إثارة الشغب لم يثمر. هذا النموذج السوري في التراجع إلى الاعتدال نسبياً تحت الضغط برز بشكلٍ واضح عندما تم الضغط على سوريا للدخول في عملية سلام مع إسرائيل في التسعينات؛ وبالضغط الذي مارسته عليها تركيا لوقف دعم الإرهاب ضدها عام **1998**، ومباشرةً بعد اعتداءات الحادي عشر من أيلول.

والد بشار وسلفه، حافظ، ناور بشكل جيد جداً. فقد شارك في الحرب ضد احتلال العراق للكويت بما يكفي ليحصل على المساعدة من عرب الخليج الأثرياء والولايات المتحدة. كما أن انخراطه في المفاوضات مع إسرائيل ساعد أيضاً بالرغم من أنه رفض التوصل إلى اتفاق في النهاية. ومن ثم توفي حافظ ناقلاً الرئاسة لابنه المفتقد للخبرة.

من الواضح أن بشار هو ليس حافظ. فإن والده كان أفضل بكثير على مستوى التخطيط الاستراتيجي. بخلاف بشار، فإنه من المرجّح أنه لم يكن لينسحب من لبنان ولكان أكثر حذراً في مجانبة الاحتكاك مع عرب الخليج وأمريكا. ولما كان ليسمح لإيران أن تحول سوريا إلى ما يشبه الدولة التابعة لها أو التعامل مع قائد حزب الله السيد حسن نصر الله الند للند.

ولكن يمكن القول بأن جينات الأسد لا زالت حية. فصحيح أن بشار انسحب من لبنان ولكنه حافظ على الموارد الأمنية والاقتصادية في مكانها. وقوع ما يقارب العشرون انفجاراً وجريمة قتل بينت للبنانيين أن من الأفضل تأمين المصالح السورية. وبقتل رفيق الحريري، فإن بشار وقع في مأزق واضح، ولكنه تخلص من الرجل الوحيد الذي كان من الممكن أن يوحد البلد ويقف في وجه حزب الله.

ولكن المغامرة التي قام بها بشار يبدو أنها آتت ثمارها. فعلى الجبهة العراقية، كان قد بدأ حرباً ضد أمريكا من دون دفع أي ثمن شخصي. فإن سوريا تقوم بتجهيز، تدريب، وإرسال الإرهابيين إلى الحرب والذين يقومون بقتل المئات من العراقيين والأمريكيين من دون التخوف من أية إدانة أو تحرك دولي.

ومن ثم على الجبهة اللبنانية عام **2006**، أطلق (بشار) حرباً تقليدية ضد إسرائيل ــ ومرة ثانية من دون دفع أي ثمن شخصي، في الوقت الذي كان الأمر عكس ذلك بالنسبة للبنانيين. في هذه الحالة، كل السلاح والأموال تأتي من طهران، بينما تحصل سوريا على فرصة مجانية. إن بشار اليوم في دمشق هو البطل الذي واجه إسرائيل على حساب اللبنانيين. كما أنه جمع رصيداً قوياً لدى الإسلاميين الراديكاليين من خلال كونه صديقهم وحليفهم في العراق، لبنان، وبين الفلسطينيين.

من الممكن لكل هذا أن ينفجر ضد بشار يوماً ما من خلال ضغط دولي أو ثورة داخلية. ولكن في الوقت الراهن، فإنه يتمتع بالثقة. لعل هذا يقدم الإجابة على السؤال حول بشار: فهو شخص يتصرف كمجنون في المعايير الغربية ولكن قد يبدو عبقرياً كقائد شرق أوسطي.

فكيف أن هذا القائد الجديد والشاب ودولته الصغيرة والضعيفة نسبياً ساعدا على تحويل الشرق الأوسط ــ وبالطبع العالم بأسره ــ في مثل هذا الاتجاه المختلف، الدموي، والخطير؟

بعد عام **1991**، كان هناك أمل لدى الغرب وإسرائيل، ولدى الكثير من الناس في العالم العربي بأن هناك تغيرات جذرية حول العالم وفي المنطقة سوف تنتج شرق أوسط جديد براغماتي، إصلاحي، ديمقراطي وآمن. فسقوط الاتحاد السوفياتي، هزيمة صدام، الاتجاه نحو الديمقراطية في أماكن أخرى، بروز أمريكا كقوة عظمى وحيدة، وعوامل أخرى، كل هذه كانت تنبئ بولادة عالم أفضل. فهناك جيل من العرب عاش الهزيمة، المأساة، والركود. فمن المؤكد أنه سوف يدرك مكمن الخطأ ويختار طريقاً آخر. حصل بشار على الثناء لقتله الحلم بأن هناك شيء مختلف وأفضل، بالرغم من أنه من الممكن أن يكون قد غالى في وصف صعوبة هذا الإنجاز، فكما أوضح: " لم يكن من السهل أبداً إقناع الكثير من الناس برؤيتنا حول المستقبل". بينما كان يرى بأن "الشرق الأوسط" الذي يقدره الغرب، إسرائيل، والعرب المعتدلون "مبني على الذل والخنوع وتجريد الناس من حقوقهم." وأنه قد بدأ ينشأ مكانه "تزايد شعبي ساحق ...يتسم بالكرامة والعروبة"...من المقاومة والكفاح. كل ذلك مألوف. فبعد حرب إسرائيل–حزب الله عام **2006**، فإن الشرق الأوسط وبشكل واضح وربما إلى الأبد قد دخل في عهد جديد ومن دون شك ذات انعطافة قديمة. فإنه قد تم القضاء على إمكانية التفاوض حول السلام الإسرائيلي– العربي وتقدم العرب باتجاه الديمقراطية؛ كما أن الراديكالية الإسلامية هي من يحدد الأجندة، بغض النظر ما إذا كانت تحقق قوة سياسية أم لا. منذ ست سنوات والأمور تتجه في هذا الاتجاه؛ وأنبأ عنها رفض الفلسطينيين والسوريين السلام مع إسرائيل عام **2000**، العودة إلى الانتفاضة المبنية على الإرهاب، الخلاف من بعد أحداث **11** أيلول، العنف الذي تبع سقوط صدام في العراق، إحباط التحركات الإصلاحية من قبل الأنظمة العربية، والتقدم الانتخابي الذي حققته حماس، حزب الله، والأخوة المسلمون في مصر، إلى جانب تطورات أخرى.

الميزة الأوضح لهذا الشرق الأوسط الجديد والغير محسّن، هو تحالف حماس–سوريا–إيران–حزب الله الذي يسعى للسيطرة على المنطقة، القضاء على إسرائيل ورفض التأثير الغربي ــ كل الأهداف القديمة ــ تحت شعار مواجهة الاعتداءات. إن نشوء مثل هذا التحالف يمثل تقاطع حاد مع الماضي بلحاظ قضيتين فقط: مستوى التدخل الإيراني الغير مسبوق في السياسة العربية وخلق التركيبة القومية–الإسلامية العربية والذي يعتبر بشار المروج والداعم الرئيسي لها. عندما نأخذ بعين الاعتبار بأن بشار ليس مسلماً حقاً، بالرغم من أنه يمثل على أنه كذلك على التلفاز، فإن الإنجاز يُعتبر مذهل من حيث جرأته.

إنه من الغرابة بمكان رؤية إعادة إحياء سياسات أظهرت فشلها المريع في الجولة الأولى، والتي أنتجت عوضاً عن ذلك كوارث لا زالت المجتمعات العربية، الشرق الأوسط، والعالم بأسره يعيش تداعياتها. غالباً ما يُقال بأن العالم العربي يمتلك ذاكرة مديدة. ولكن ما هو بغرابة هذا الحماس في إحياء أفكار أثبتت فشلها هو أنه تقريباً لا أحد يبدو ملتفتاً إلى أن هذا ما حدث في السابق. النقاط المذكورة في هذه المقالة تم ذكرها من قبل بعض الكتاب العرب، حتى من قبل أولئك الذين هم من نقاد نمط التفكير الجديد. من المؤكد بأن كل عناصر هذه الرؤية الكونية قد خضعت لاختبار الوقت ولكن المشكلة أنها أخفقت في الامتحان.

إن نموذج بشار للشرق الأوسط الجديد قد يستمر لجيل بأكمله. ولكن ما يحوله من كونه مجرد جد استثنائي إلى كونه ظاهرة حقاً مدهشة هو أن هذا التحول يسجل عودة وغالباً بأدق التفاصيل إلى طريقة تفكير العرب وإستراتيجيتهم في الحقبة الممتدة ما بين الخمسينات والثمانينات. مرة أخرى ما يشكل الخط السياسي هو الخط التقليدي القائم على تمجيد الكفاح القائم على العنف لتحقيق النصر الكامل وليس البراغماتية، الديمقراطية، التسوية، والبناء الاقتصادي. أحياناً يمكن استخدام هذه بالمعنى الديماغوجي، وأحياناً أخرى يتم تنفيذها فعلياً.

لماذا إذاً إعادة إحياء رؤية كونية وبرنامج كان قد أخفق بنحو جد مأساوي ومدمر، جارّاً العالم العربي إلى سنين من الهزيمة، هدر الثروات، الديكتاتورية، والتخلف عن باقي العالم في الكثير من المجالات الاجتماعية والاقتصادية؟

في الإجابة على هذا السؤال يعرض الكاتب الأيديولوجية والأفكار التي حكمت ولا زالت تحكم الإستراتيجية والسياسة العربية مقدماً شواهد تاريخية من الماضي والحاضر مبيناً وجه التشابه بين الاثنين وفشل مثل هذا النهج في تحقيق الرفاه والتطور الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي للبلاد والشعب العربي وبالتالي فإن أي انتصار كان قد حققه العرب أو يحققه ما هو إلا وهم إلا إذا اعتبرنا بأن إلحاق بعض الأذى بالعدو هو نصر.
فيما يلي نعرض الأفكار التي تشكل قاعدة التحرك العربي من وجهة نظر الكاتب مع ذكر بعض من الشواهد التاريخية التي أوردها:

1– إن الأنظمة العربية ترفض الإصلاح لأن التغيير يهدد بعزلها من مراكز السلطة. وفي المقابل إن القوى الإسلامية الراديكالية كانت تبحث عن إستراتيجية جديدة لتزيد من نفوذها وقوتها.
2– إن التأكيد على فكرة "المقاومة" للأجانب مبتنية على قاعدة متينة ألا وهي أن كل مشاكل العالم العربي سببها إسرائيل، أمريكا والغرب.
3– مفهوم المقاومة النبيل يعطي الناس شعوراً جيداً وهو يُستخدم كمخدر للجموع.

4- الإيمان بأن إسرائيل، أمريكا، والغرب هم حقاً ضعفاء. فإذا كان العرب والمسلمون مستعدون للتضحية والاستشهاد من أجل أنفسهم ومجتمعاتهم يمكنهم تحقيق النصر. (ويعلق الكاتب بأن هذا النوع من التفكير هو الذي أدى إلى هزيمة العرب عام 1967 وما بعدها من حروب، وبناءً عليه فإن النتيجة التي تم الخلوص إليها في التسعينات إن مثل هذه الإستراتيجية لم تنجح. ولكن مع مجيء عام 2006 وتحديداً بعد حرب إسرائيل–حزب الله من تلك السنة، فإن هذا التفكير تم نسيانه أو اعتبر بأنه كان خاطئاً. ففي كلامٍ لهاني حوراني، رئيس مركز الأبحاث الأردني الجديد، يقول: "إن حزب الله استطاع أن يخلق نمطاً جديداً من التفكير حول مجمل الصراع في المنطقة: إسرائيل ليست بتلك التي لا تُهزم. يمكن هزيمتها. يمكن أذيتها... إن حزب الله، ولو لم نتوافق مع أيديولوجيته، قام بطرح خيار مختلف للشعب العربي." يوجد عدد من الحالات التي تم ذكرها على مثل هذا الإدعاء، ولكن عند التدقيق، فإن المعطيات لم تدعم النتيجة. فالانتفاضة الفلسطينية منذ عام 2000 إلى 2005 كما سابقتها عام 1979- 81 لم تُكسب فلسطين دولة مستقلة، وكذلك الأمر بالنسبة للعراق، فإذا كان الهدف إلحاق الأذى بالأمريكيين فإن بعض النصر قد تحقق. إلا أن الثمن الذي دفعته أفغانستان والعراق كان أكبر بكثير. أما المثال الأهم هو حرب حزب الله- إسرائيل 2006. لكنه من السهل رؤية أن إسرائيل ربحت على المستوى العسكري في حرب لبنان 2006. والمدهش في ذلك لم يكن هناك أي جديد في أسلوب حزب الله. تكتيكات مشابهة تم استخدامها في الحرب العراقية–الإيرانية وفي حرب العراق على الكويت إلا أنه لم يكن لذلك أي تأثير حقيقي).

5- عامل آخر يكرر نفسه من الماضي: هو الإيمان بشخصية سياسية خارقة التي سوف تقود العرب والمسلمين إلى النصر. وبالرغم من أن كل القادة العرب قد أخفقوا إلا أن هذا لم يؤدِّ إلى نبذ مثل هذا الأمل الوهمي وإنما إلى السعي لإيجاد مرشّح آخر لهذا المنصب. (الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الـ 2006 هو إعادة إحياء لعبد الناصر الـ 1966، تهديد الغرب، الثقة بأن إسرائيل سوف يتم إزالتها عن الخارطة، واللعب بالحرب كوسيلة لتحقيق نصر سريع وسهل. وكذلك بشار، خالد مشعل، ونصرالله هم نماذج للرجولة عند العرب.

6- أخيراً إن التحالف المقاوم الجديد يَعِد في حل كل المشاكل بنحو سهل وسريع ولو عن طريق إراقة الكثير من الدماء.

إن الفارق الوحيد بين المفاهيم القديمة والجديدة هو أن الذي كان يتم التعبير عنه بمنطق القومية العربية يُعبر عنه اليوم بالإسلام. والفكرة هي أنه يمكن للإسلام أن ينجح حيث أخفقت القومية العربية. فبغض النظر عن الفرق الواضح من حيث المحتوى بين الأيديولوجيتين إلا أن الرؤى والأهداف واحدة. فبما أن العدو محض شيطاني فلا مكان للتسوية معه. ولنفس هذا السبب، فإن أي نوع من العنف يُعتبر مبرر. وهذا لا يُعد إرهاباً لأن طبيعة العنف دفاعية، ضرورية، وضد عدو شيطاني. إن تحقيق نصراً كاملاً ممكناً وبالتالي إن القبول بما هو أدنى يُعد خيانة. بناءً عليه، على الشعب أن يتحد تحت الحكومات التي تمتلك الأيديولوجية الصحيحة والتي تكون قادرة على تحريك المجتمع بأكمله أي الدكتاتورية. الأولويات لهذه الأنظمة تكون القضاء على إسرائيل، هزيمة أمريكا، ورفض تأثير الثقافة والأفكار الغربية. وبما أن كل ذلك ضرورياً ويشكل حلاً عملياً، فإن أي شيء غير الكفاح والمقاومة ــ كالمزيد من الحقوق للمواطنين، الإصلاح، أنظمة اقتصادية حضارية، إلخ...سوف يكون معوقاً. فقط وبعد أن يتم تحقيق النصر الكامل يمكن العمل على هذه المسائل الكمالية. وعلى العكس، فإن فكرة الليبرالية والإصلاح هي أساساً من خدع العدو.

هذه الفكرة ظهرت بشكلٍ واضح مع بداية انتفاضة عام 1952 في مصر، وتحديداً بعد حرب السويس عام 1956 والتي دفعت بعبد الناصر ليكون أقرب ما يكون إلى قائد العالم العربي، البطل الذي استطاع أن يوحد جميع العرب. ولكن من المفيد التذكر بأن صيت النصر الذي حصل عليه عبد الناصر اعتمد بشكلٍ أساسي على حرب السويس والتي شكلت حقيقةً عار عسكري لمصر. فإن التدخل

الدبلوماسي لكل من الاتحاد السوفياتي وأمريكا هو الذي أنقذ عبد الناصر. ونظير ذلك هو النصر الذي حققه نصـــر الله في الحـــرب اللبنانية فإن الضغط الدولي لوقف إطلاق النار هو الذي أنقذ حزب الله وأبقاه على سلاحه وفي مكانه.
وبتجاهل هذا التاريخ، فإن المؤيدين يجرون اليوم المقارنة بين نصر الله وعبد الناصر بشكلٍ إيجابي.

7- من المفاهيم الأخرى التي يتم إعادة إحياؤها هي أن ميزان القوى أو التكنولوجيا، القوة العسكرية، الصناعية، أو الالكترونية ليست بمهمة حقيقةً ولكن تلك الروحية يمكن أن تتغلب على كل هذه الأمور. في تعبير إحدى الشعارات الراديكالية في الســـتينات "إن قوة الشعب أعظم من التكنولوجية البشرية".

ولكن يردف الكاتب بأن نصر الله هو اليوم، كما عرفات في السابق، يشبه تشيغيفارا القائد الثوري الكوبي الرومانسي ولكن الفاشـــل والذي هو كنصر الله لم يستطع إسقاط أية حكومة ولكن يوجد الكثير من القمصان التي تحمل صوره.
كما يضيف بأن كلام بشار ونصر الله هو نفس كلام عرفات الذي كان يكرره على مدى **40** سنة والذي هو كما جاء على لســـان نصرالله أن جيش إسرائيل "جيشٌ ضعيف، عاجز، مهزوم، ذليل وفاشل.." ويعتبر الكاتب بأن هذا نوع من البروباغندا هو أجل كسب تصفيق الجماهير وثبات الكوادر. ولكن القادة أيضاً يصدقون هذه البروباغندا. في النهاية هم يعتمدون باستراتيجيتهم وتكتيكاتهم على ذلك.
الأمل الكبير الذي كان لعرفات في ذلك الوقت هو نفسه الذي يحمله الآن بشار ونصرالله وهو ترهيب المواطنين الإسرائيليين. ولهـــذا فإنهم يستخدمون الإرهاب لا لإنهم بأصلهم شريرون وإنما لأنهم يعتقدون بأن هذا الأمر فعّال.

ويخلص الكاتب إلى أن عقلية المقاومة هي أداة ممتازة لحفظ الأنظمة واستقطاب الدعم الشعبي للحركات الإسلامية الراديكالية. الضحايا الأساسيون هم السلام، البراغماتية، الديمقراطية، الاعتدال، ما يعني في الحقيقة بأن الضحايا الأساسيين هم العرب أنفسهم.
وكما ذكر بشار في مقابلة مع إحدى الصحف المصرية في آب **2006** " إن صمود المقاومة والتغير الذي نشهده في العالم العربي، والذي كانت نتيجته أننا نرى بأن ملايين الشبان يقومون بالتلويح بأعلام حزب الله والمقاومة يثبت بأن الأمة على أبواب مرحلة جديدة مـــن تاريخها".
لعل هذا الأمر صحيحاً ولكن هذا التغير هو مشابه للحقبة السابقة وبالتالي فإن النتيجة في النهاية ستكون أيضاً مشـــابهة(أي الهزيمـــة والفشل). ولكن في الأثناء، إن النظام السوري مستقر ويتمتع بالشعبية. ويُعتبر الآن الربيع لبشار إلا في حال قام بحسابات خاطئة.